وزارة الإعلام
الهيئة العامة للإستعلامات
سلسلة الثقافة لغة السلام
للأطفال والنشء
(٦)

دنيا
الإخاء والتسامح

بقلم
د. اسماعيل عبد الفتاح

رسوم
شوقى حسن

إشراف عام
د. اسماعيل عبد الفتاح

إخراج فنى
م. سلوى على نشأت

كمبيوتر جرافيك
مهره حامد صقر

رقم الإيداع
١٣٧٨٦ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولى
977 - 234 - 103 - 4

٢٠٠٦

بدأ محمدُ يرتقى سُلمَ الطائرةِ المتجهةِ إلى روما الإيطاليةِ .. وهو سعيدٌ لأنَّه استطاعَ أن يحصُلَ على عقدٍ للعمل اثناءَ العطلةِ الصّيفيّةِ فى أحِد الفنادق الإيطاليّة .. نعَم .. محمدٌ كان سعيداً للغاية لأنه انتَهى من امتحان الصّفَّ الثالثِ بكليَّةِ السياحةِ والفنادق . ويريدُ أن يحقق ذاتَه ويكتشفَ قدراتِه ويكتسبَ مزيداً من الثقِة بالّنفسِ ..وأرشدتْهُ المضيفةُ الجويَّةُ إلى مكان جلوسِه . فتوجَّهَ إليه وهو سعيدٌ .. مبتسمٌ .. وجلسَ عَلى الِفورِ .. فوجد بجانِبه أحدَ الُّركابِ فابتسمَ له فبادَلهَ الابتسامة .. وماهى إلا لحظاتٌ ..حتى تبادلَ الرَّاكبان الحديثَ :

- أنا محمدٌ .. طالبٌ جامعىٌ .. متجهٌ إلى روَما ..
- وأنا جوزيف .. أعملُ مهندساً للإلكترونياتِ بدولةِ الإماراتِ ..

فابتسمَ محمدٌ أكثرَ وأكثرَ وهو يصيحُ :

- جوزيف .. يوسفُ بالعربى .. اسمٌ جميلٌ كنتُ أنوى تسمية ابنى الأول بهذا الاسم عندما أتزوجُ ..

فعلتْ الدهشةُ وجهَ جوزيفِ وهو يقولُ :

- وهل منَ المسلميَن منْ يُسمّى جوزيف ؟

فقال محمدٌ بكلِّ حماسٍ :

- نعمْ.. نعمْ.. فاسمُ يوسفُ منتشرٌ لدى الأسر المسلمِة لأنّه اسمٌ لنبيِ كريمٍ منحَهُ اللّه الجمالَ والعقلَ الراجِحَ ..

- لَمْ أكنْ أعرفُ ذلك .. تصورتُ أن جوزيفَ اسمُ للمسيحِيَين فقطْ .. فنحن مثلًا لا نُسمّى محمداً !!

فهزَّ محمدٌ راسَه .. وقالَ :

- نوعٌ من التعصُّبِ الأعمَى لدَيكُم ضدَّ الإسلام والمسلميَن .. ولكن عنْدما نُسمَّى كل أسماء الأنبياء : موسى - إبراهيمَ - نوح - إدريسَ - إسماعيلَ - يوسفَ - حتى عيسَى أيضاً !!

فازدادتْ دهشةُ جوزيف وقال :

- لقدْ أكدتْ أختى مارى لى ذاتَ يوم أن المسلمين يتسِمونَ بالأنانيةِ وحبِّ الذاتِ والنرجِسِّيةِ ولا يسمونَ إلا محمدا وأحمد ..

فقال محمدٌ بحدَّةٍ :

- هذا هو التعصبُ الأعمى بعينهِ لديكُم .. والمثلُ الُّحى على ذلك هو مارى أختُك فاسمُها هو أحبُّ الاسِماء لديْنا .. فمارى هى مريَم بالعربيَّةِ .. واسمَ السيِدة مريَم هو اسمُ السيدةِ الوحيدِ الذى ذُكرَ فى القرآنِ ..

فصاحَ جوزيف :

- وهل ذُكر اسمُ مريَم فى القرآن كتابكُم ؟!

فقال محمدُ وهو يشدَّدُ على صحة أقواله :

- نعْم جاءتْ أكثرَ من مرةِ . بل وصفَها الله عز وجل فى كتابِه السماوى الجليلِ القرآنِ الكريم الذى أنزَله لنا وللنّاسِ كافةٍ : (وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا وَصدَّقتْ بِكِلمَاتِ رَبِّهَا وَكتُبهِ وَكَانَتْ مِنَ القانِتِيَن) " التحريم : ١٢ " ..

- ووسَط دهشةِ جوزيف البالغةِ جاءتْ المضيفةُ بوجبةِ الغذاءِ فتوقَفَ الحديثُ وبدا الراكبِان فى تناول الطعِام ولكن ذهنيهما لم يتوقفا عن التفكير فيما ثَارَ من موضوعاتٍ ..

وبعد إنتهاء تناولِ الغذاءِ .. ابتسمَ جوزيفُ وهو يقولُ :

- مفاجاة ياصدِيقى .. لم أكنْ أعرفُ أن أسماءنَا محبوبةٌ لديكم أنتم المسلميَن !!.. هل المسيحية محبوبةٌ لديكم ؟! ٠

وسمع السؤالَ أحدُ القريبين منهم .. فَقال له :

- ياأخُ .. الإسلامُ دينٌ نزِل للنّاس كافة .. ولذلكَ لابدّ أن يؤمن المسلمُ بما أنْزلَ قبله من الكتُبِ والرُّسل ٠

فمن أركان الإسلام الإيمانُ بالكتبِ السابقة ومنها الإنجيلُ .. والإيمانُ بالرّسَل السابقةِ ومنهمُ المسيح عليه السلام .. فلقدْ قال تعالى : (وَالذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أنزلَ إلْيكَ وَمَا أُنزِلَ من قبْلِك وبِالآخِرةِ هُمْ يُوقِنُونَ) " البقرةَ : ٤" وقال سبحانه : (آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنزلَ إليْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِالله ومِلائكِتِه وَكَتُبهِ وَرُسِلِه لا نُفرَّقُ بَيْن أحَدٍ مَّن رُّسُلِهِ وَقالُوا سَمِعْنَا وَأَطعْنَا غفْرَانَك رَبَّنَا وَإِليْكَ المصيرُ) " البقرة :٢٨٥ " ..

وأكملَ محمدٌ قائلًا :

- وما لا تعلَمُه ياأخُ جوزيف إنّ المسيحيين أقربُ الِناس للمسلمين بنصّ كلماتِ الِله فى كتابهِ العزيز : (لَتَجدَنَّ أَشَدَّ النَّاس عَدَاوَةً لَّلَّذينَ آمَنُوا اليَهُودَ وَالذينَ أَشْرَكُوا وَلَتجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لَّلَّذِينَ آمَنُوا الّذِينَ قالُوا إنَّا نَصَارَى ذَلِك بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسيَّسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبرُونَ) " المائدة : ٨٢ " ..

فأطرقَ جوزيفُ وطأطأ رأسَه مِفكراً .. وقال :

- أعتذرُ لكم أيها الأخوةُ عن مفاهيمى الضَّيقَةِ عن الإسلام وعن المسلمَين.. حقاً لقدْ أخذتْنى دراسة الإلكترونَياتِ ثِمَّ العملُ فى هذا المجال . وكنتُ أتلقّى المفاهيمَ الدينية بدون مُناقشةٍ ولا تفكَير .. اعذرونى.. وأعدُكم أن أقرأ وأسمع وأحبَّ الإسلامَ والمسلمين ..أما عندنا في المسيحية فإن السيد المسيح قال لنا : (من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر) . وقال : (من سخَّرك ميلًا فاذهب معه ميلين) . وقال (من أخذك من ثوبك فاترك له الرداء أيضاً) ..

- فقال محمد :

- وأعرف أيضاً أن المسيح عليه السلام قال : (تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب) . وقال أيضاً : (أحبوا أعداءكم . وباركوا لاعنيكم . صلوا من أجل الذين يسيئون إليكم) ونعرف الكثير عن دعوة التسامح في المسيحية.

وسادتْ لحظاتُ صمتٍ رهيبةٍ .. وتساءلَ جوزيف :

- أنا سعيد بما تقول . ولكن .. لماذا تُسافرُ إلى إيطاليا وأنتَ مازلتَ طالباً ؟!

فاعتدلَ محمدٌ وقال :

- من اجل العمل واكتساب الخَبرةِ ياصديقى ؟!

فضحِكَ جَوزيَفُ وقال :

- جميلٌ .. جميلٌ جداً ما قلتهُ يامحمدُ .. ياصديقى .. إننى خفتُ أن أعرضَ عليك صداقِتى .. نعمْ خِفتُ لأننى كنتُ أخشى ألا تقبلَ ذلك .. أدينُك يقولُ لك ذلك ؟!

فأسرعَ محمدٌ وهو يقولُ :

- ياجوزيفُ .. يايوسفُ .. الإسلامُ يعلمُنا القيمَ ويعلمُنا الأدبَ .. (قُل يَاأَيُّهَا الكَافِرُون لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنتُم عَابِدُون مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبدتُم وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ) " الكافرون : ١- ٦ " ..

فغضب جوزيفُ وقال بحدة :

- ولَكنى لستُ كافراً يامحمدٌ ياصديقى. أتصِفُنى بالكُفرِ والإلحادِ ؟!

فأسرعَ محمدٌ وهو يقولُ :

- لا تغضبْ بسرعةٍ .. ولا تتسرع .. فإذا كانَ الإسلامُ يأمُرنا بذلك بالنسبةِ للكافرينَ فما بالُك بأصْحاب الكتابِ مثلَكم.. فأنْتُم أقربُ الناس إلينا .. وأنا أتشرَّفُ بصداقتِك !!

فهزَّ جوزيفُ راسْهَ وهو يقولُ :

- نعم .. هذا جيدٌ !!

وأكملَ محمدٌ حديثَه :

- وأنا لى أصدقاءٌ أقباطٌ مسيحيونّ .. فنصفُ أصدقائى منهم .. وحولى ثلاثةٌ من الجيران منهم . وتربطُنَا بهِم علاقاتٌ ممتازة . فأفراحُنا هى أفرَاحُهم . ومآتِمنا هى مآتِمُهم والعكس صحيحٌ !!

فتساءل جوزيفُ بحدَّةٍ :

- هل هذا معقولٌ؟! الأقباطُ فى مصرَ كما نسمعُ يضطهدُهم المسلمون ويعاملونَهم أسوأ معاملةٍ؟!

فغَضِبَ محمدٌ وقالَ :

- لا .. لا ياصديقى.. أتعرف كلمةَ قبطٍ ماذا تعنى ؟!

إنها تَّعنى كلَّ من يعيشُ علَى أرضِ مصرَ مسلماً أو مسيحياً .. فكَيفَ نضطهدُ الاقباط .. ثَم ان القانونَ لم يفرَّقْ بيَن مسلمٍ ومسيحيٍ فى الحقوق والواجباتِ . كما أن الأسلامَ لم يقر بأى تفرقةٍ فى ذلكَ .. فهم جزءٌ من النسيج المصرى ونحن كمسلمين جزءٌ من هذا النسيج .. كلنا مصريون وكلنا مؤمنون باللّه الواحِد الأحدِ الفردِ الصمدِ ..

وأعلنت المضيفةُ عن وصول الطائرةِ للمجال الجوى الإيطالِى فحزنَ جوزيفُ على فِراق صديقِهِ وقال لَه :

- لا بدَّ أن نواصلَ علاقاتِناَ وصداقِتنا .. هذا هو تليفونِى فى لندنَ وسأزورُ روما فى طريَق عودَتى للإماراتِ بعد حوالى شهر ونصفٍ وأرجوك أن تعطيَنِى تليفونَ وعنوانَ الفُنُدق الَذى ستعملَ به من أجل الالتقاءِ ..

وافترقَ الصديقان على أمل اللقاءِ والمحادثةِ الهاتفيةِ ..

ونزلَ محمدٌ إلى رَوما واسَتلمَ عمله وتاه فى تفاصيل الحياةِ ما بين العمِل لمدة تزيد على ١٢ ساعة يومياً وما بيَن النزهَةِ واكتشافِ روما وإيطاليا ودولةِ الفاتيكان وكادَ أن يَنْسى محاورَاتهِ مع يوسفَ رفيق رحلتهِ منَ القاهرَة إلى رُوما . حتى فوجِىء ذات يوم بيوسفَ يقفُ أمامَه ويقولُ له :

- هاللو محمد .. أهلًا وسهلًا.. ها نحن نلتقى من جديدٍ وبالفعل لم تمرْ أكثرُ من ثانيةٍ واحدةٍ حتى كان الرفيقان يتعانقانَ عِناقاً ينَمُّ عن صداقةٍ متأصلةٍ .. مع اشواق ما بعدَ الفِراقَ .. ثم مرتَ لحظاتٌ حتى كان الصديقان يَتناولان طِعامَ العَشاءِ فى أحدِ مطاعمِ الفندق وهما يَحكيان أسرارَ حياتِهما وما مرَّ به من مواقفَ خلالِ فترةِ الفراقِ الممتدةِ .. فقال جوزيفُ :

- ياصديقى .. لقد تأثرتُ بكلماتك التى سمعتُها منك أثناءَ الرحلةِ الجَّويةِ من القاهرة الى رُوما.. وذهبتُ إلى لندنَ وتوجهتُ لقراءةِ بعض المصادرِ .. وتعجبَ الأهلُ من تغيرى وتبدل مواقِفى .. وقلتُ لهَم : إن الفضلَ يرجعُ لمحمدٍ.

فربتَ محمدٌ على يد صديقِه يوسفَ وهو يقولُ :

- الفضلُ للّٰه عز وجل وحدَه .. وأنتَ طالما تعمقت فى علومِ الإلكترونيات لا بدَّ أن تَعقل معنى واحداً هو : أن الحياة لا تحتملُ الرأىَ الواحدَ والفكرَ الواحدَ والاتجّاهَ الواحدَ ..

فقال له جوزيفُ :ـ

- هل معنى ذلك ضرورةُ وجودِ أكثر من رأيِ وأكثَر من فكر وأكثَر من اتجّاهٍ .. وبالتالى صراعُهم وصِدَامُهم معاً .. هَل صدامُ الإسلامِ بالحضاراتِ الأخرى صدامٌ حتمىٌ ؟!

فضَحِكَ محمدٌ وهو يتناولُ الطعامَ وقال :

- ياصديقى من قال لك هذا ؟! أمامَنا أكثر من نوعٍ من الطعامِ ونأكُلُهم معاً فهل هناك تصادُم أو صراعٌ لا ياصديقى ..

فقال جوزيفُ بحدَّةٍ :

- ولماذا تَضْحَكُ ؟! لقدْ أعلنَ عن هذا التصادمُ العديدُ من المفكرِيَن وهم أدرى منى ومنك بالحقيقةِ ؟! أنتمُ المسلمونَ متعصبيَن لِفِكركمٍ وآرائِكُم ؟!.

فترك محمدٌ المِلعقة جَانباً وقال :

- ياصديقى .. من يقولُ ذلك .. نحن المسلمين نُحِبُّ الجميعَ كما أمرَنا اللّٰه .. نحبُّ كلَّ النّاسِ وكلَّ الأديان ؟! .

فقال جوزيفُ :

- كيف ذلك وقد قالت لى مريَم أنتم قد نشرتُم الإسلام بالعنفِ والقوةِ والإرهابِ والسيفِ ؟! .

BAR TRATTOR
CUCINA
•AGE
FNOLOG

فقال محمدٌ :

- ياصديقى مريم أختُك لا تعرفُ عن الإسلام شيئاً .. لأن الله أمرَنا بالمجادَلِة بالُحسنى وبالقول الطيِّبِ لا َبالعنِفِ . قالى تعالى : [وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتَابَ إلا بِالَّتِى هِى أحْسنُ ..] [العنكبوت : ٤٦] . هذا بالنسبة لكُم . وبالنسبةِ لنشرِ الإسلام بالسيفِ فإن هذا افتراء لأن الله أمرنا بالِدعوة إلى الِله بِالحق وبالكلمة الطيبةِ قال تعالى : (ادْعُ إلَى سَبيلِ رَبِّكَ بِالْحكْمةِ والَمْوعِظةِ الحسَنةِ وجادِلْهمُ بِالتِى هِى أحْسَنُ إنَّ رَبَّك هُو أعْلمُ بِمن ضَلَّ عن سبِيلهِ وهُو أعْلمُ بِالُمهتدِين] [النحل : ١٢٥] .

فعلتْ الدَّهشةُ وجهَ جوزيفَ وهو يقولُ :

- أهذا معقولٌ ؟ هذا منتهى التسامُحِ . وهذا منتهى المدنيَّةِ والتحضّر .. لأن هذا الحوارُ فى أسمَى معانيه ..

فاعتدلَ محمَدٌ فى جِلسَتِه وهو يقول :

- نعم .. بل وصلَ الأمرُ فى الإسلام أن دعانا المولى سبحانه وتعالى أن نتحاورَ معكُم بالحقَّ قال تعالى : [قُلْ يا أهْلَ الكِتَابِ تَعَالوْا الى كلِمَة سَواءٍ بَيْنَنَا وبَيْنكمْ ألا نَعْبُد إلا الله ولا نُشْرِك بهِ شيْئاً ولا يتخذ بعْضُنا بعْضاً أرْبابا من دون الِله فإن تولوْا فقُولُوا اشْهدُوا بِأنا مُسلِمُون] [ال عمران : ٦٤] .

واستمر اللقاءُ بين الصديقين فترةً طويلةً قال بعدها جوزيفُ :

- حقاً ياصديقى .. أنا أعتزُّ بصداقتِك الإنسانيةِ ..

ولقدْ فهمتُ أن من تشرَّبَ الإسلامِ لابد أن يكونَ أُفُقُه مُتسِعاً للنقدِ .. والحوارِ .. فاقبلْ صدَاقتى !.

فَفَرحَ محمدُ وقال له :

- بَل أعتزُّ بها .. إنك صديقُ عزيزُ كبيرُ عالِمُ . ونحن نحبُ العلماءَ لأنهم أقربُ إلى الِله وإلى الحق وإلى العقل ..

وبعدَ يومين من النزهةِ وزيارةِ معالَمِ رُرما افترقَ الصديقان على أملِ تبادلِ الرسائل ومواصَلة الصداقة بينهما ..

وبعدَ مرور الصَّيف ، عاد محمدُ إلى دراسَتهِ فى السَّنةِ النهائَّيةِ من كَليةِ السّياحِة والفنادق ، ولكن استمر جوزيفُ فى مراسلة محمدٍ عن طرِيق البرِيد والاطمئنان عليه عن طريق الهاتف .

ومرَّت الأيامُ .. وتخرَّجَ محمدُ من الجامعِة ، وفوجئ يومَ تخرجه بصديقِه جوزيفُ يتصلُ به ويهِّنئُه ويقولُ له :
- لقد وصلتنى دعوة لحضور ندوةٍ عالميةٍ عن سماحِة الإسلام فى باريس ، ولقد طلبَتُ منهم دعوتَك معى فاستجاَبوا وقرروا دعوتكَ ، فإلى اللقاءِ ياصديقى فى باريس ..

وبالفعل لم تمر أيامُ حتى وصلتَ الدعوةُ لمحمدٍ ، وبعد أيام أخرى استقلَّ محمدُ الطائَرة إلى باريس لحضور الندوةِ العالَميةِ التى ينظمُها معهدُ العالمِ العربى بباريَسَ عن الإسلام وتحديات العصر ..

ووصَلَ محمدُ إلى بَاريسَ وهو يُفكرُ فى مدينِة النورِ كما تُسمَّى وجمالِها ففوجئ بصديقِه يوسفَ فى استقبالِه فى المطارِ ، وبعد الاستقبال الرائِع بين الصديقين

قال يوسفُ :
- ياصديقى .. لكَ الفضلُ فيما وصلتُ إليه .. لقدْ خصَّصتُ جزءاً من وقتى لدراسة الإسلام دراسة متعمقة لأننى أحسستُ بجهلٍ من كلامِك عند لقاَءِنا الأولِ ..

فَفَرحَ محمدُ وسَعدَ بكلام صدِيقه وقال :
- وماأهمُّ ماتوصلتَ إليَه ؟.

EGYPTAIR - الطيران

فقال يوسفُ بكل ثقةٍ :

- لقدْ توصلتُ . كما سترى فى دراستِى المقدَّمِة للندوَة . أن الإسلامَ دينُ عالمىُ كبيرُ اهتمَّ بحقوق الإنسان . وهو دينُ السماحِة والعِزةِ معاً .. فإذا كان المسيحُ يأمُرنا بالسماحِة الملائِكيَّة " إذا لطمك أخوك على خدَّك الأيمن فأدِر له خَدّك الأيسر " . فإن الإسلامَ يأمُرنا بالسماحَةِ البشرِيَّة لأننا لسنا ملائكةً بل بشرُ !!

- حقاً ياصديقى .. إن الإسلام يأمُرنا بالسماحَةِ حتى فى البيعِ والشراءِ كما قال الرسولُ الكريم صلى الله عليه وسلم : " رحِمَ الله رجلًا سمحًا إذا باع سمحًا إذا اشترى سمحًا إذا اقتضى " رواه البخارى . كما يأمرُنا بأن نأكلَ طعامَ أهل الكتاب يهوداً أو نصارى بسماحة فلقدْ قال المولى عز وجل: [وَطَعَامُ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ] [المائدة : ٥] . ونهانا عن ظلمِ الآخرين حتى ولو كانوا أعداءً ..

قال رسولنا الكريُم : " من ظَلَمَ مُعاهداً أو انْتَقَصه حقاً أو كلفُه فوقَ طاقتِه أو أخذَ منه شيئاً بغيرِ طيبِ نفس منه . فأنا حَجِيجُه يومَ القيامةِ "
رواه أبو داود والبيهقى ..

حتى أن رسولنا الكريَم يقول لنا :
" من آذِى ذمّيًا فقدْ آذانى ومن آذانى فقدّ آذى الله "
رواه الطبرانى . إسنادُ حسنُ .

- بالفعل يامحمدُ .. لقد تأكدتُ من هذه المعانى الجميلةِ فى الإسلامِ ولذلك أدَعو فى دراسَتِى إلى نشر هذه المفاهيمِ الإسلاميةِ . على أوسِع نطاق وهذه مسئوليةُ المسلمين فى كلِّ مكان للتعريفِ الصحيحً بأنفِسهم ..

وقضى الصديقانِ وقتًا ممتعاً فى مختلفِ نواحى باريسَ . واشترك جوزيفُ " يوسفُ " فى الندوةِ العالميةِ ومعه محمدُ . حيثُ ألقى جوزيفُ دراستَه حولَ المفاهيمِ الإسلاميةِ والتحدِّى الحضارى ووجوبِ مواجهةِ الدّعاياتِ المغرضَةِ . ولاقتْ دراستُه استحسانَ الحضورِ وعَقَّبَ محمدُ علىَ الدراسةِ فقال :

- إن هذه الدارسةَ القيمةَ تنبعُ من أنَّ صاحبَها قد كتبها عن اقتناع عقلى . لأن الإسلام دينُ حياةٍ متكاملةٍ .. فالإسلامُ دعا إلى حقوق الإنسان فى أوسع صورةٍ عرفْتها البشرية . فلا تفرقةٌ بين أبيضَ وَأسودَ . ولا تفرقة بين غنىٌّ وفقير . ولا بين قوى وضعيفٍ إلا بالتَّقوى والعملِ الصالِح ٠ كلُّ ذلك فى مناسِكِ الإسلام من صلاةٍ وصوم وحَج وزكاةٍ ..

كلُّ ذلك أدى إلى سمـاحةٍ واسعةٍ فى الإسـلامِ انطلاقاً من قول الله عز وجل : [يَاأَيُّهَا النَّـاسُ إنَّا خَلَقْنَاكُم مَّن ذكرٍ وأُنثَىَ وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقبَائِلَ لِتَعَارَفُوا] [الحجراتً : ١٣] .

فالسماحُة فى الإسلام للبشر كلِّهم وليس لجنسٍ أو عقيدةٍ مُعيَّنِة . وهى بين اَلمسلميَن أروعَ صورةٍ للتسامِح . فقد قال تعالى : [إنَّما المُؤْمِنُونَ إخْوَة فَأَصْلِحُوا بَيْن أَخَوَيْكُمْ] [الحجرات : ١٠] .

ودعَانا اَلإسلامْ إلِي التعاون . قال تعالى : [وَتَعَاوَنُوا عَلَى البرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواَ عَلَى الإثْم وَالْعُدْوَان] [المائدة : ٢] .

ولا شكَّ أن الإسلامَ الذى يدعُونَا للتعاونَ مع الجميع لخير البشرِيَّةِ إنما يؤكدُ ذلك أن الإسلامَ صَالُح لكلِّ زمانَ ومكانِ وأن ذلك يعنى التحاورَ والعملَ لصالحِ البشرِيَّةَ جمعاء .

فأثِنَى الحاضِرونَ على تعقيبِ محمدٍ الذِى عانَقَ صديقه جوزِيفَ وطلبَ أحدُ الأساتذِةِ الحاضرين الكلمة للتعقيبِ. فأعطاه رئيسُ الجلسَةِ الكلمة فقال :

- لم تقتصرْ سماحة الإسلامِ على وقت السّلم . وإنما للإسلام سماحتهُ فى وقتِ الحربِ . فلا يجوزُ قتلُ الأسير ولا تؤثُر الحربَ على السَّـــلمِ إلا فى حالةِ الاعتداءِ فيكونُ ردُ الاعتداءِ واجباً . بل يوجبُ الإسلامُ بضرورةِ إعلانِ الحربِ قبلَ البدءِ فى القتِال ثمَّ الكفُّ فوراً عن القتِال فى حالِة ماتوقفَ الأعـــداءُ عنه . ثمَّ تحرِيُم الإسلامِ للتمثيلِ بالجثثِ وإحراقِها . ثم تحرِيُم إتلافِ الأمِوال والتخَريبِ فى بلادِ العدو . وتجوِيع الأعداءِ . ويأتى قصُر القتِال على الجيش المحارِب دون الأطفِال والنساءِ والشيوخِ والرُّهبِان دليلًا على سماحةِ الإسلامِ وعدالتهِ . كما جاء فى الحديثِ الشريفِ " لا تقتلوا شيخَاً فانيًا ولا صغيراً ولا امرأة " متفقُ عليه .. فالحربُ فى الإسلامِ أخلاقية سمحـــة بسماحِة الإسلامِ وأخلاقِه ..

وطَلبَ آخرُ التعليقِ . فقال :

- لم يكنْ هناكَ مثالٌ على التسامُح الإنسانِى فى الإسلامِ أبلغَ من تسامُح الرسول صلى الله عليه وسلم مع أهلَ قريشِ الذينِ حاربَوهَ وسلبوا أموالَه وأموالَ المسلميَن وحَاولواَ تدمير دولتَه . بعد أن فتحَ الله عليه مكةَ المكرَّمة فقال لهم : ماذا تظنونَ أنى فاعلُ بكم ؟! . وهم يعرفونَ أنه عادلُ مُحسنُ . فقالوا له : أخُ كريمُ وابن أخ كريم !! . فقال لهم على الفور فى إحسان لم يعرفْه العالمُ من قبلٍ : اذهبوا فأنتم الطلقَاءَ !!

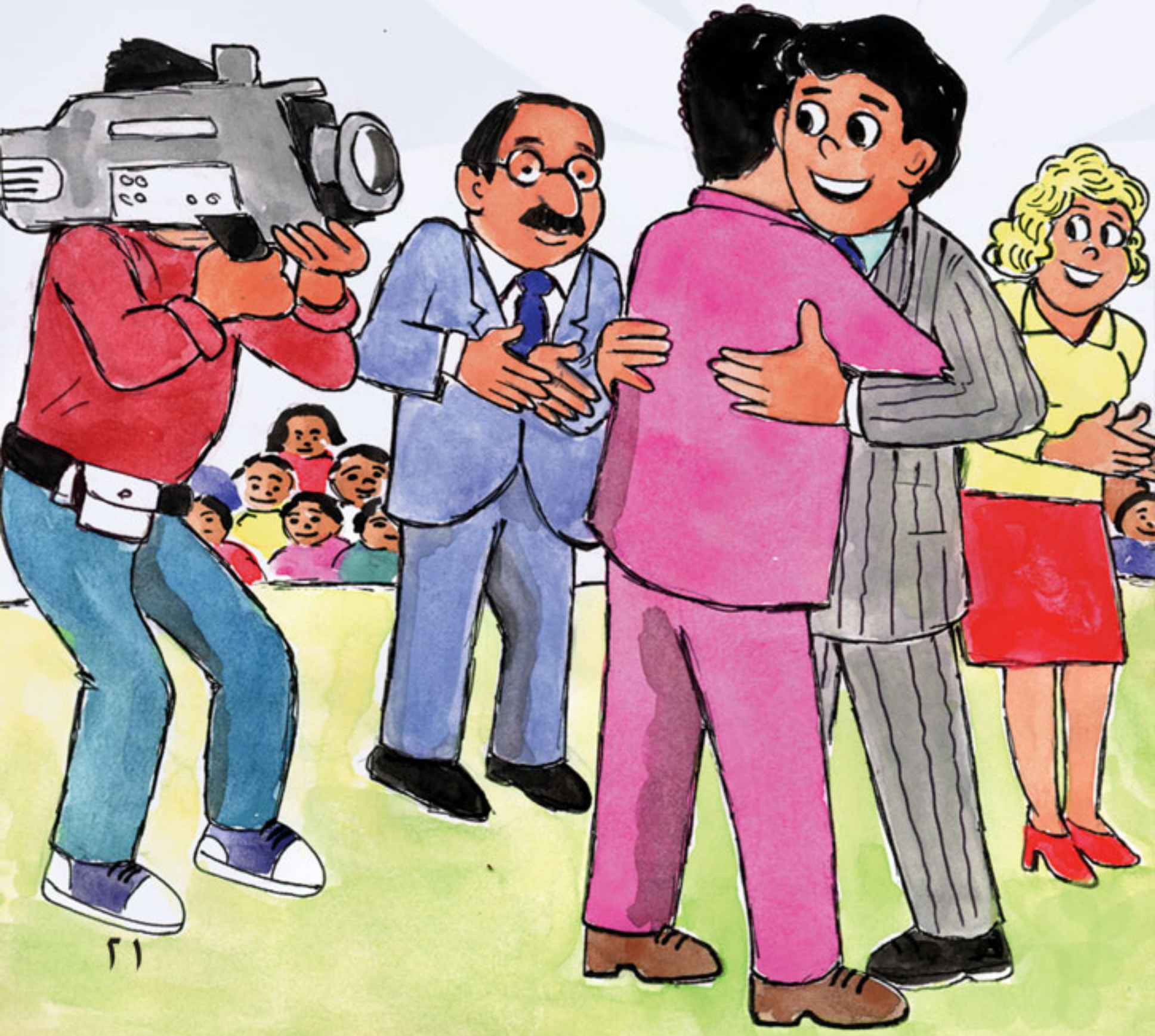

أىُّ إحَسان جماعِى مثلَ هذا ؟! بل وإن جيوشَ المسلمين التى حاربَتْ الفرسَ والرومَ ومن قبلِهم المرتَدين لم يُمثّلوا بجثةِ ولْم يقطعُوا شجرةً حتى انهم ردُّوا أموالَ وغنائمَ أهل حمصَ بعد فتحِها مما تسبّبَ فى فتحِ ما حولَها . كما فعلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأهل هوازنَ وثقيف بعد معركةِ الطائفِ وبعد معركةِ حُنين .. إنها محردُ أمثلةٍ تؤكدُ أن الإسلامَ دينُ متحضرُ ودينُ يستطيعُ أن يواجهَ تحدياتِ العصر بكلّ قوةٍ وثباتٍ .. بالأخلاق والقيمِ وبالأمرِ بالمعروفِ والنهىِ عن المنْكِر وبكلِّ مَافيه من مبادئ راسخةٍ تفيدُ البشرّية فى كلِّ زمان ومكان .

وأخذ يوسفُ الميكرفونَ مرة أخرى فى نهايةِ الجلسةِ ليقول :

- رغم أننى لستُ مُسلماً إلا أننى أحبُ الإسلامَ بمبادئِه الإنسانّيةِ العظيمةِ وسمو قيمِه وأحبُّ من خلال تجربتِى مع صديقى محمدٍ أن نتحابّ فى الإنسانية لأن هذاَ مادعَانا إليه المسيحُ ومن بعده محمدُ عليهما السلامُ .. فالحبُّ فى اِللّه هو خيرُ للبشريِة . وحسابُ الأديان عند الله تعالى : فلابدَّ أن تكبَر صداقتى بصديقى محمدَ المسلمِ . وهذا هو النموذجُ الصغيرُ الذى نضعُه أمامَ البشريَّةِ من أجلِ المحبةِ بين الجميع . فإذا كان المسلمُ هو جارُ للمسيحى فى مصرَ ولبنانَ وسوريَا وبقيةِ المجتمِع الإسلامِى خبرُ تعبير .. وأُحبُّ أن أكررَ على مسامِع حضراتكم أن أعمالَ وأفعالَ المسلميَن ليست حجةً على الإسلام بل مبادئ الإسلام هى الحجةُ القويةُ والأكيَدةُ على طَبيعِة المجتمِع الإسِلامى !!.

وصفقَ الحاضرونَ ليوسفَ تصفيقاً حاراً . وهنأه الجميعُ بدراستِه القيّمة . واتخذَ المؤتمرُ استراتيجية لتحسين صورةِ الإسلام فى المجتمعاتِ الغربية من خلالِ وسائِل الإعلام ومن خلال التلاحمِ والتعاضدِ ..

ووَقفَ محمدُ يهنئ صديقه " يوسف " ويقولُ له :

- أحسنتَ يايوسفُ .. باركَ اُللّه فيك .. لقد كِدْتُ أحسَبُك مسلماً مؤمناً عالماً جِليلًا . لقوةِ حُجَّتِك ودفاعِك عن مبادئ الإسلامِ وغاياتِه العظيمةِ..

فعانقه يوسفُ وهو يقول له :

- ياصديقى محمدُ .. الصداقةُ أشملُ وأعمُّ من أى علاقةٍ . وإن كنتُ مازلتُ مسيحىَّ الديانة . إلا أننى أدعوكَ لِتقرأ القرآنَ وتتعمق فيه . فكلُّ الأديان بُنِيتْ على الوحدانَّية والإسلام . قال تعالى : [آمَنَّا بِاللّه وَاشْهَدْ بأَنَّا مُسْلِمُونَ] [ال عمرانَ : ٥٢] . فإننا أصدقاءُ أوفياءُ . كما إن لك جيراناً أوفياءَ مسيحيين . فإننا أصدقاءُ أوفياءُ لأن شعارَ الوحدِة الوطنية عندَكم فى مصرَ فى الحركاتِ الوطنّية " الدينُ للّه والوطنُ للجميع " أليسَ كذلك ؟! .

فطأطأ محمدُ رأسَه وقال :

- نعم ياصديقى .. نحنُ أصدقاءُ لنشِر السماحِة والتعاون بين أقطِار الأرض جميعِها كما نشرْناها فى عالِمنا الإسلامىّ .. فلتكن أرضُ الله هى أرضِ التعاون والتسامِح والحرِية بعيداً عن التعصّبِ الأعمى الذى يَخلِق العداوة والبغضاءَ والحروب من أجلِ خيرِ الإنسانية كلها ..

فتشابكت الأيدى ورفع محمدُ ويوسفُ يديهما متشابكتين وقالا :

- تحيا الصداقةُ بين الشعوب .. تحيا الصداقةُ بين الأديان .. من أجل خير العالمين .. يحيا الحب .. يسود التسامح .

وخرَج الصديقان لِينشرا دعوةَ الحبِّ والتسامِح فى العالَم أجمع ليكون العالم كله شارعاً للتسامح والإخاء الإنسانى.

***